

كل سنة وكل مصر طيبة .. هيثم دبور



الثلاثاء 4 مايو 2010 12:05 م

04/05/2010

بقلم : هيثم دبور

أجلس فى الزحام الروتينى لكوبرى أكتوبر - أحد إنجازات الرئيس بالمناسبة - ألهو قليلاً بمطالعة الأخبار فى الصحف، تقع عيناي على تاريخ اليوم فأدرك أنه الرابع من مايو، تباغتني ذكرى عابرة لعيد ميلاد أبى الذى مر منذ شهرين تقريباً، وأتذكر أنني اعتدت منذ أن كنت صغيراً وحتى خط شارب كثيف بآثاره وجهى أن أستقبل عيد مولده بسؤال «هتجيب لى إيه يا بابا بمناسبة عيد ميلادى؟».

والحقيقة أنه لا رابط حقيقياً أستشعره بين عيد ميلاد أبى وعيد ميلاد الرئيس، ربما لأننى لم أشعر بإحساس الأبوة الذى يردده الجميع قاصدين الرئيس مبارك، العمال المعتمسون يناشدون «الأب الرئيس مبارك»، ورجالات الصحف القومية يحيون «الأب الرئيس مبارك»، حتى جمال مبارك محق فى تلك العلاقة لأنه لن يستطيع أن يغير حقيقة أن يكون مبارك أباً ورئيساً له.

لكن الرابط الذى جعل ذكرى مولد والدى تعود إلى ذهنى هو فرضية خيالية جعلتني أتساءل، لو كنت مثل الملايين الذين يتغنون بعبارة «الأب الرئيس» فماذا سأطلب منه «هتجيب لى إيه بمناسبة عيد ميلادك»؟

والحقيقة أنني لم أستغرق وقتاً فى الوصول إلى إجابة، فأنا لا أريد منه شيئاً، كل ما أرجوه هو أن يساعدنى فى تقليل مقدار احتياج الناس لى، وتعويل آمالهم وحلول مشكلاتهم على، وعلى غيرى ممن يجد فيه الناس عوضاً عن الرئيس ذاته.

أكثر ما يمكن رصده فى الثلاثين سنة الأخيرة هو أن الناس لم تكف عن الطلب «هتجيب لنا إيه»، ولكنها حولت مسار طلبها من المسؤولين وأعضاء مجلس الشعب وكل من يملك حق منح ما لا يراه الناس حقاً لهم إلى مواطنين مثلهم يرون فيهم ذلك، يقف شاب تخرج فى كلية السياسة والاقتصاد كنادل فى أحد الكافيهات، يطالبك دون أن يسأل بنوع من البقشيش، يحصل على ما يمكنه من العيش حياة ليست بالكريمة، يعود إلى منزله ليمنح جزءاً من الجزء الذى حصل عليه توأ إلى بواب عمارته الذى نظر له باسماء وقال «كل سنة وانت طيب»، يذهب البواب بجزء من جزء الجزء ليقال مجاور لشراء قطعة جبن أبيض، بينما يغيب البقال مع ابنه الذى يعاني أزمة مع التأمين الصحى، يقضى ٣ أيام على أبواب الصحف ومثلها على أبواب الفضائيات ويحصل على الجمعة إجازة، يطلب المذيع - بلهجة خطابية ورغبات زعامية غالباً - من المسؤولين الاهتمام بحالة ابن البقال، فى الوقت الذى يطالب فيه نواب البرلمان وزير الداخلية بضرب المتظاهرين بالرصاص لأن أصوات مطالبهم خرجت عن النسق الذى رسمه المجتمع للتعايش مع الوضع.

أفكر ثانية ربما أكون مخطئاً، وأتأكد أنني لا أريد منك - سيدى الرئيس - شيئاً، فقط أريد ألا تتحول هباتي إلى مصدر دخل النادل، وادعائى الزعامة إلى مفتاح الفرج للبقال، ووجودى عوضاً عن وجودك ينقر بائع مناديل زجاج السيارة، يتسم ويقول «كل سنة وانت طيب يا باشا»، أبادله الابتسام قائلاً «كل سنة وكل مصر طيبة».